عمـــــر بن الخطّـاب[1]

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجاميز

مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

حَسْبُ القَوافِى وحَسْبِى حِينَ أُلْقِيها * أَنِّى الى ساحَةِ (الفَارُوقِ) أُهْدِيها[2]

لا هُمَّ ، هَبْ لى بَيانًا أَسْتَعِينُ به * على قَضاءِ حُقُوقٍ نامَ قاضِيها[3]

قد نازَعَتْنِى نَفْسِى أَنْ أُوَفِّيَها * وليسَ فى طَوْقِ مِثْلى أنْ يُوَفِّيها[4]

فُرْ سَرِىَّ المَعَانِى أنْ يُواتِيَنِى * فيها فإنِّى ضَعِيفُ الحالِ واهِيها[5]

(مقتـــل عمـــر)

مَوْلَى المُغِيرَةِ، لا جادَتْكَ غادِيَةٌ * مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ما جادَتْ غَوادِيها[6]

---

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة ، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله ، ثم أسلم رضى الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها ؛ ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى فى حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة ؛ ولما أحس أبو بكر بدنو أجله استخلف عمر . وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام ؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .

(٢) الفاروق : اسم لعمر بن الخطاب ، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه فرق بين الحق والباطل .

(٣) لاهم ، أى اللهم . (٤) الطوق : الجهد والطاقة . (٥) سرى المعانى : شريفها ورفيعها . ويواتينى : يطيعنى ويمدنى .

(٦) مولى المغيرة ، هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل ، وكان قد شكا الى عمر ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة ، ورجاه فى تخفيفه ، فلم يجبه الى ما طلب ، فأسرها فى نفسه ، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلى . ويقال : إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبى لؤلؤة عليه ، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى ، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض . والغادية : السحابة تنشأ غدوة والجمع الغوادى . وجادتك : أمطرتك ؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه .

(١)
مَزَّقْتَ منه أَدِيمًا حَشْوُه هِمَمٌ * فى ذِمّةِ اللهِ عالِيها وماضِيها
(٢)
طَعَنْتَ خاصِرَةَ (الفارُوقِ) مُنْتَقِمًا * مِن الحَنِيفَةِ فى أَعْلَى مَجالِيها
(٣)
فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإِسْلامِ حائِرَةً * تَشْكُو الوَجِيعَةَ لَمّا ماتَ آسِيها
(٤)
مَضَى وخَلَّفَها كالطَّوْدِ راسِخَةً * وَزَانَ بالعَدْلِ والتَّقْوَى مَغانِيها
(٥)
تَنْبُو المَعاوِلُ عنها وهِىَ قائِمَةٌ * والهادِمُون كثيرٌ فى نَواحِيها

حَتّى اذا ما تَوَلّاها مُهَدِّمُها * صاحَ الزَّوالُ بها فانْدَكَّ عالِيها
(٦)
واهًا على دَوْلَةٍ بالأَمْسِ قد مَلَأَتْ * جَوانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيادِيها
(٧)
كم ظَلَّلَتْها وحاطَتْها بأَجْنِحَةٍ * عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قد كانت تُوارِيها
(٨)
مِنَ العِنايَةِ قد رِيشَتْ قَوادِمُها * ومِنْ صَمِيمِ التُّقَى رِيشَتْ خَوافِيها
(٩)
واللهِ ما غالَها قِدْمًا وكادَ لها * واجْتَثَّ دَوْحَتَها إِلّا مَوالِيها

لو أَنَّها فى صَمِيمِ العُرْبِ قد بَقِيَتْ * لَمَا نَعاها على الأَيّامِ ناعِيها

---

(١) الأديم : الجلد . وقوله : « عاليها وماضيها » يصف همة عمر بالرضة والمضاء .

(٢) الخاصرة : الخصر . وفى أعلى مجاليها ، أى فى أوضح مظاهرها .

(٣) الآسى : الطبيب . (٤) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى .

(٥) تنبو : تكل وترتد . (٦) الأيادى : النعم . (٧) كم ظللتها ، أى أن هذه الدولة ظللت جوانب الشرق . (٨) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش الواحدة قادمة . والخوافى : صغار الريش ، وهى تحت القوادم . (٩) غالها : اغتالها وأهلكها . واجتث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير العرب . ويشير بهذا البيت الى نكبة الدول الاسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط الدولة الأموية وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

يالَيْتَهُمْ سَمِعُـوا ما قاله (عُمَـرٌ) (١) * والرُّوحُ قد بَلَغَتْ منـه تَرَاقِيهـا:
لا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيـكُمْ فإنّ لهمْ * مَطامِعًا بَسَمَاتُ الضَّعْفِ تُخْفِيهـا

(إســـلام عمـــر)

رأيتَ فى الدِّين آراءً مُوَفَّقَـــةً (٢) * فأَنـــزَلَ اللهُ قـــرآنًا يُزَكِّيهـا
وكنتَ أوّلَ مَنْ قَرَّتْ بصُـحْبَتِه * عَيْنُ الحَنِيفَـةِ وآجتازَتْ أَمانِيهـا
قد كنتَ أَعْدَى أعادِيها فصِرْتَ لها (٣) * بِنِعْمَةِ اللهِ حِصْـنًا مِن أَعادِيهـا
خَرَجْتَ تَبْغِى أذاهَا فى (مُحَمَّدِها) (٤) * وللحَنِيفَـــةِ جَبّـارٌ يُـــوالِيهـا
فـلَمْ تَكَدْ تَسْمَعُ الآياتِ بالِغَـــةً (٥) * حتى آنكَفَأْتَ تُناوِى مَنْ يُناوِيها

---

(١) يقال بلغت روحه التراقى، اذا شارف الموت . والتراقى : أعالى الصدر حيث يترقى النفس .

(٢) يزكيها : يعززها و يؤيدها . ويشير بهذا البيت الى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم فى الخمر لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان فى الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه، وكان نائما ؛ فقال : « اللهم حرم الدخول » ؛ فنزلت آية الاستئذان الخ . (٣) يشير الشاعر بهذا البيت الى ماعرف عن عمر من شدته على النبى والمسلمين قبل إسلامه، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الاسلام بدخوله فيه . (٤) يواليها : يناصرها، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده الى السبب فى إسلام عمر، وذلك أنه كان خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبى صلى الله عليه وسلم، فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ؛ فلم يره ذلك، فرجع عمر اليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم، وأحسوا هم به، فاختفى خباب، ودخل عمر، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ؛ فأعجب به وأطراه، ومال قلبه الى الاسلام، فقصد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .

(٥) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوئ، أى تعادى .

سَمِعْتَ (سُورَةَ طَه) مِنْ مُرَتِّلِها (١) * فَزَلْزَلَتْ نِيَّةً قد كنتَ تَنْوِيها
وقُلْتَ فيها مَقالًا لا يُطاوِلُه (٢) * قَوْلُ المُحِبِّ الّذى قد بات يُطْرِيها
ويومَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وارتَفَعَتْ (٣) * عن كاهِلِ الدِّينِ أَثْقالٌ يُعانِيها
وصاحَ فيه (بِلالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ (٤) * لها القُلوبُ ولَبَّتْ أَمْرَ بارِيها
فأنتَ فى زَمَنِ (المُخْتارِ) مُنْجِدُها (٥) * وأنتَ فى زَمَنِ (الصِّدِّيقِ) مُنْجِيها
كم اسْتَراكَ رَسُولُ اللهِ مُغْتَبِطًا (٦) * بِحِكْمَةٍ لكَ عند الرَّأْيِ يُلْفِيها

(عمر وبيعة أبي بكر)

ومَوْقِفٍ لكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) (٧) افْتَرَقَتْ * فيه الصَّحابةُ لمّا غابَ هادِيها
بايَعْتَ فيه (أبا بَكْرٍ) فبايَعَه * على الخِلافَةِ قاصِيها ودانِيها

---

(١) يريد «بالنية» : النية التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه يطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ فى مدحه .

(٣) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . (٤) بلال ، هو ابن رباح ، وكان مولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، اشتراه ثم أعتقه ، وكان له خازنا ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت الى اظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٥) يريد بالصديق : أبا بكر أول الخلفاء الراشدين ؛ ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت الى الخلاف الذى سبق مبايعة أبى بكر ، وحسمه عمر يوم السقيفة ، ومناصرته لأبى بكر مدة خلافته ، وسيشير الشاعر الى ذلك بعد . (٦) استراك : أصلها استراءك ، أى طلب رأيك . (٧) يشير الى اختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى اختيار خليفة لهم ، والى فضل عمر يومها بلمّ شعثهم وإسراعه الى مبايعة أبى بكر بالخلافة .

وأطفئت فتنةٌ لولاكَ لاستعرت * بين القبائل وانسابت أفاعيها (١)

باتَ النبيُّ مُسَجًّى فى حَظيرته * وأنتَ مُستعرُ الأحشاءِ دامِيها (٢)

تَهيمُ بين عَجيج الناسِ فى دَهَش * مِن نَبْأةٍ قد سَرَى فى الأرضِ سارِيها (٣)

تَصيحُ: مَن قال نَفسُ المصطفى قُبِضَتْ * عَلَوتُ هامَتَه بالسَّيف أبريها (٤)

أنساكَ حُبُّكَ طَه أنه بَشَرٌ * يُجرِى عليه شُؤونَ الكَوْنِ مُجْريها

وأنه وارِدٌ لا بُدّ مَوْرِدَه * مِنَ المَنِيَّةِ لا يُعْفيه ساقِيها

نَسيتَ فى حَقِّ طَه آيةً نَزَلَتْ * وقد يُذَكَّرُ بالآياتِ ناسِيها

ذَهِلْتَ يوما فكانت فِتنةٌ عَمَمٌ * وَثَابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دَياجيها (٥)

فللسَّقيفةِ يومٌ أنتَ صاحِبُه * فيه الخِلافةُ قد شِيدَتْ أواسِيها (٦)

مَدَّتْ لها (الأوسُ) كَفًّا كَىْ تَناوَلَها * فمَدَّت (الخَزْرَجُ) الأيْدى تُبارِيها (٧)

---

(١) استعرت : اتقدت . (٢) مسجى الميت : مدّ عليه ثوبه وغطاه به .

(٣) هام بهيم : ذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب . والعجيج : الصياح ورفع الصوت . والنبأة : الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده الى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إن عمر وقف بينهم يهدهم بقطع رأس كل من يقول : " مات محمد " حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، فعادوا الى صوابهم . (٤) الهامة : الرأس .

(٥) عمم : عامة . وانجابت : انقشعت وزالت . والدياجى : الظلمات .

(٦) الأواسى : جمع آسية ، وهى العمود .

(٧) الضمير فى « لها » و « تناولها » للخلافة . والأوس والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها : تنازعها الغلبة على الخلافة .

وظَنَّ كلُّ فريقٍ أنّ صاحبَهُمْ * أَوْلَى بها وأَتَى الشَّحْنَاءَ آتِيها (١)

حتّى أنبرَيْتَ لهمْ فارتدّ طامعُهُمْ * عنها وأَخّى (أبو بكرٍ) أواخِيها (٢)

(عمر وعليّ)

وقَوْلَةٍ (لعَلِيٍّ) قالها (عُمَرُ) * أكْرِمْ بسامِعِها أعْظِمْ بمُلْقِيها! (٣)

حَرْفَتُ دارَكَ لا أبْقِي عليكَ بها * إنْ لم تُبايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فيها

ما كان غيرُ (أبي حَفْصٍ) يَفُوهُ بها * أمامَ فارِسِ (عَدْنانٍ) وحامِيها

كلاهُمَا في سَبِيلِ الحَقِّ عَزْمَتُه * لا تَنْثَنِي أو يكونَ الحَقُّ ثانِيها

فاذْكُرْهُمَا وتَرَحَّمْ كُلَّما ذَكَرُوا * أعاظِمًا أُلِّهُوا في الكَوْنِ تَأْلِيها

(عمر وجبلة بن الأيهم)

كَمْ خِفْتَ في اللهِ مَضْعُوفًا دَعاكَ به * وكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًّا يَنْثَنِي تِيها (٤)

وفي حَدِيثِ فَتَى غَسّانَ مَوْعِظَةٌ * لكلِّ ذي نَعْرَةٍ يأبَى تَناسِيها (٥)

---

(١) صاحبهم ، أي الذي نصبوه للخلافة منهم .

(٢) أخى أواخيها ، أي مكن لها ووثق صلاتها وقواها . والأواخي : العرا ، الواحدة آخية .

(٣) يشير بهذه الأبيات الى امتناع علي عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته اذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة علي فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) المضعوف ، أي الضعيف ؛ والقياس مضعف ، كقولهم : أسعده الله فهو مسعود ؛ والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أي بالله . وتيها : كبرا .

(٥) فتى غسان ، هو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الإسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطئ أعرابي ثوبه ، فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه ، فشكاه الأعرابي الى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وهرب ، والتجأ الى القسطنطينية ، وتنصر . والنعرة (بتحريك العين) — وسكنت هنا للضرورة — : الخيلاء والكبر .

فـا القَـوِىُّ قَوِيًّا رَغْـمَ عِزَّته * عند الخُصومَةِ (والفارُوقُ) قاضِيها

وما الضَّعِيفُ ضعيفًا بعـدَ حُجَّتِه * وإنْ تَخاصَمَ وَالِيها وَراعِيها

(عمر وأبو سفيان)

وما أَقَلْتَ (أبا سُفْيانَ) حِينَ طَوَى * عَنـكَ الهَـدِيَّةَ مُعْـتَرًّا بمُهْدِيهـا (١)

لَمْ يُغْنِ عنه وقد حاسَبْتَه حَسَبٌ * ولا (مُعاوِيَةٌ) بالشـامِ يَحْبِيهـا

قَيَّدْتَ منـه جَلِيلًا شاب مَفْرِقُه * فى عِزَّةٍ لَيسَ مِنْ عِزٍّ يُدانِيهـا (٢)

قد نَوَّهُوا بآسِمِـــه فى جاهِلِيَّتِـــه * وزادَه سَـيِّدُ الكَوْنَيْنِ تَنْوِيهـا (٣)

فى فَتْـحِ مَكَّةَ كانت دارُه حَرَمًا * قد أَمَّنَ اللهُ بعـــدَ البَيْتِ غاشِيها (٤)

---

(١) وما أقلت أباسفيان ، أى ماتركته ولا تغاضيت عنه . وبمهديها ، أى معاوية . ويشير الشاعر بهذه الأبيات الى ما يروى من أن معاوية ــ وهو على الشام ــ بعث مرة الى عمر بن الخطاب بمال وأدهم وكتب الى أبيه أبى سفيان أن يدفع ذلك الى عمر ، فخرج الرسول حتى قدم على أبى سفيان بالمال والأدهم ؛ فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب الى عمر ، واحتبس المال لنفسه ؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال : فأين المال ياأبا سفيان؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فاذا أخرجت لنا شيئا قاضيناك به ؛ فقال عمر : اطرحوه فى الأدهم (أى القيد) حتى يأتى بالمال ، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر باطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال : أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ، قال : نعم ، وطرح فيه أباك ؛ قال : ولم؟ قال : جاءه بالأدهم وحبس المال ؛ قال : اى والله ، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٢) يريد بقوله : " جليلا " وما بعده من الأوصاف : أبا سفيان . والمفرق : وسط الرأس .

(٣) نوّه به . رفع ذكره ومدحه وعظمه . (٤) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان يوم فتح مكة من جعل بيته أمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله : «بعد البيت» ، أى بعد الكعبة .

وكُلُّ ذلك لم يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرٍ) * فى هَفْوَةٍ (لأبِى سُفْيانَ) يَأْتِيها

تاللهِ لو فَعَلَ (الخَطّابُ) فَعْلَتَه * لَمَا تَرَخَّصَ فيها أو يُجازِيها (١)

فلا الحَسابَةُ فى حَقٍّ يُجامِلُها * ولا القَرابةُ فى بُطْلٍ يُحابِيها (٢)

وتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لو أرادَ بها * شُمَّ الجِبالِ لَمَا قَرَّتْ رَواسِيها (٣)

(عمر وخالد بن الوليد) (٤)

سَلْ قاهِرَ الفُرْسِ والرُّومانِ هل شَفَعَتْ * له الفُتُوحُ وهل أَغْنَى تَوالِيها (٥)

غَزَّى فأَبْلَى وخَيْلُ اللهِ قد عُقِدَتْ * باليُمْنِ والنَّصْرِ والبُشْرَى نَواصِيها (٦)

---

(١) ترخص فى الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل فى عقابه حتى يجازيه . (٢) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل . (٣) الشم : المرتفعة . والرواسى : الثابتة . (٤) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين فى فتح الشام ، إذ جاء البريد من المدينة ينعى أبا بكر ، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة الى أبى عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : إن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان فى نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوجه امرأته فى حرب الردة ؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه فى جميع حروبه فى العراق والشام ، وذلك ليمن طالعه فى الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، فخشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر تولية الخلافة الى المسلمين ؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما فى نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : «وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، فخفت أن تفتتن بالناس» . وبقى خالد الى آخر حياته مطيعا لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك . (٥) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد .

(٦) النواصى : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . والمسموع فى مثل هذه العبارة إدخال الباء على «النواصى» لا على «اليمن» كما هنا ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «الخيل معقود بنواصيها الخير» فدخولها على اليمن على سبيل القلب ، والقلب فى اللغة سماعى .

يَرْمى الأَعادِى بآراءٍ مُسَــدَّدَةٍ * وبالفَوارِسِ قد سالَتْ مَذاكِيها (١)
ما واقَــعَ الرُّومَ إلّا فَرَّ قارِحُها * ولا رَمَى الفُرْسَ إلّا طاشَ رامِيها (٢)
ولَمْ يَجُــزْ بَلْدَةً إلا سَمِعْتَ بها * اللهُ أكبرُ تَدْوِى فى نَواحِيها (٣)
عِشْرُونَ مَوْقِعَــةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً * مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ بَنانُ الفَتْحِ تُحْصِيها (٤)
و (خالِدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ مُوقِــدُها * و (خالِدٌ) فى سَبِيلِ اللهِ صَالِيها (٥)
أتاهُ أَمْرُ (أبِى حَفْصٍ) فقَبَّــلَه * كما يُقَبِّــلُ آىَ اللهِ تالِيها (٦)
وٱستَقْبَلَ العَزْلَ فى إبّانِ سَــطْوَتِه * ومَجْدُه مُسْــتَرِيحُ النَّفْسِ هادِيها
فَٱعْجَبْ لسَــيِّدِ مَخْزُومٍ وفارِسِها * يــومَ الــنِّزالِ اذا نادَى مُنادِيها (٧)
يَقُــودُه حَبَشِىٌّ فى عِمــامَتِــه * ولا تُحــرِّكُ مَخْــزُومٌ عَوالِيها (٨)
أَلْقَى القِيــادَ إلى الجَــرّاحِ مُمْتَثِــلًا * وعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَواشِيها (٩)
وٱنضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِى تحتَ رايَتِــهِ * وبالحياةِ إذا مالَتْ يُفَــدِّيها

(١) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها . وانسيال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسيال الماء . (٢) قارحها ، أى القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع تدوّى (بتشديد الواو) ، أى يرتفع الصوت بها . (٤) محجلة ، أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها . ومعنى البيت أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح . (٥) صاليها : أى يقاسى حرها وشدتها . (٦) أمر أبى حفص ، أى أمر عمر بعزله . (٧) مخزوم : قبيلة خالد . (٨) يريد «بالحبشى» بلال بن رباح ، وهو الذى نفذ أمر عمر فى خالد بأن يجره بعمامته حين استحيا أبو عبيدة من تنفيذه ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها فى رقبته ، ثم رجعها الى رأسه ثانية ، وقال : نطيع أمراءنا ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد . (٩) الضمير فى "ألقى" : يعود الى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح ، هو أبو عبيدة بن الجراح .

وما عَرَتْه شُكُوكٌ فى خَلِيفَتِه (١) * ولا ارتَضَى إمْرَةَ الجَرّاحِ تَمْوِيها

(خالِدٌ) كان يَدْرِى أنّ صاحِبَه (٢) * قد وَجَّهَ النَّفْسَ نَحوَ اللهِ تَوْجِيها

فما يُعالِجُ مِنْ قَوْلٍ ولا عَمَلٍ (٣) * إلّا أرادَ به للنّاسِ تَرْفِيها

لِذاكَ أوْصَى بأولادٍ له (عُمَرًا) * لمّا دَعاهُ الى الفِرْدَوْسِ داعِيها

وما نَهَى (عُمَرٌ) فى يومِ مَصْرَعِه (٤) * نِساءَ مَخْزُومَ أنْ تَبْكى بَواكِيها

وقيل: خالَفْتَ يا (فارُوقُ) صاحِبَنا (٥) * فيه وقد كان اعْطَى القَوْسَ بارِيها

فقال: خِفْتُ افْتِتانَ المُسْلِمِين به * وفِتْنَةُ النَّفْسِ أعْيَتْ مَنْ يُداوِيها

هَبوه أخْطَأَ فى تَأْوِيلِ مَقْصِدِه (٦) * وأنّها سَقْطَةٌ فى عَيْنِ ناعِيها

فلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرأيِ زَلّتُه (٧) * حتّى يَعِيبَ سُيُوفَ الهِنْدِ نابِيها

تاللهِ لَمْ يَتَّبِعْ فى (ابنِ الوَلِيدِ) هَوًى * ولا شَفَى غُلَّةً فى الصَّدْرِ يَطْوِيها

لَكِنّه قد رَأَى رَأْيًا فأتْبَعَه (٨) * عَزِيمَةً منه لم تُثْلَمْ مَواضِيها

---

(١) التمويه: إظهار ما يخالف الباطن. (٢) صاحبه، أى عمر بن الخطاب. (٣) الترفيه: الرغد والنعيم. (٤) يشير الى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بنى المغيرة اجتمعن فى دار يبكين على خالد بن الوليد، فقال: وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة. (٥) صاحبنا، يريد أبا بكر، «ورفيه»، أى فى خالد. وأعطى القوس باريها، أى استعان فى الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب فى تفويض الأمر الى من يحسنه ويجيده.

(٦) هبوه. أى هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر الى الناس. وفى عين ناعيها، أى فى عين من يعدّد سقطات عمر وزلاته. (٧) حصيف الرأى: جيده ومحكمه. و«نابيها»، أى ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة فى الرأى لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تنبو مرة. (٨) المواضى: السيوف الماضية. و«لم تثلم»، أى لم تكسر أشفارها.

لَمْ يَرْعَ فى طاعَةِ المولَى خُؤُولَتَـه (١) * ولا رَعَى غـــيرَها فيما يُنافيهـا

وما أصَابَ ٱبْنُه والسَّوْطُ يأخُذُه (٢) * لَدَيْه مِنْ رَأفَةٍ فى الحَـدِّ يُبْدِيهـا

إنّ الّذى بَرَأَ (الفارُوقَ) (٣) نَزَّهَه * عن النَّقائِصِ والأَغْراضِ تَنْزِيها

فَذَاكَ خُلْقٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طِينَتُه * اللهُ أَوْدَعَ فيهـا ما يُنَقِّيهـا

لاالكِبْرُ يَسْكُنُها، لاالظُّلْمُ يَصْحَبُها، * لا ٱلحِقْدُ يَعْرِفُها، لا ٱلحِرصُ يُغْوِيها

(عمر وعمرو بن العـاص (٤))

شاطَرْتَ داهِيَـةَ السُّوَاسِ ثَرْوَتَه (٥) * ولَمْ تَخَفْـــه بِمِصْرٍ وهْوَ والِيهـا

وأنتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فى حَواضِرِها * ولستَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَوادِيها

لَمْ تُنْبِتِ الأرضُ كَابْنِ العاصِ داهِيَةً * يَرْمِى الخُطوبَ بَرَأْيٍ لَيسَ يُخْطِيها

---

(١) خؤولته ، أى خؤولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيما ينافيها ، أى فى معصية المولى . (٢) يقول : إن ابنه لم ينل منه رأفة وهو يحدّ فى شرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك الى حدّه ولده عبد الرحمن فى الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات . (٣) برأ الفاروق : خلقه .

(٤) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادرهم فى أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للمسلمين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ويردّ لبيت المال ، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب الى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر . فكتب اليه عمرو : إن ارضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا . فكتب اليه : إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا ؛ وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج اليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر . (٥) داهية السواس : عمرو بن العاص .

فلم يُرِغ حِيلَةً فيما أَمَرْتَ به * وقامَ (عَمْرٌو) الى الأَجْمالِ يُزْجيها (١)

ولَمْ تُقِلْ عامِلًا منها وقد كَثُرَتْ * أَمْوالُه وفَشَا فى الأَرْضِ فاشِيها (٢)

(عمر وولده عبد الله) (٣)

وما وَقَى ابْنُكَ (عبدُ اللهِ) أَيْنُقَه * لمّا أَطَّلَعْتَ عليها فى مَراعِيها (٤)

يها فى حِماهُ وهى سارِحةٌ * مِثلَ القُصور قد اهتَزَّتْ أَعالِيها

فقلتَ: ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها * لو لمْ يَكُنْ وَلَدِى أو كان يُرْوِيها

قد استعانَ بِجاهِى فى تِجارَته * وباتَ بِاسمِ (أَبِى حَفْصٍ) يُنَمِّيها (٥)

رُدوا النِّياقَ لَبَيْتِ المالِ إنّ له * حَقَّ الزِّيادةِ فيها قَبْلَ شارِيها

وهٰذه خُطَّةٌ لِلّهِ واضِعُها * رَدَّتْ حُقوقًا فأَغْنَتْ مُسْتَمِيحيها (٦)

ما الاشتراكِيَّةُ المَنْشُودُ جانِبُها * بينَ الوَرَى غَيْرَ مَبْنِىٍّ مِنْ مَبانِيها (٧)

فإنْ نكُنْ نَحْنُ أَهْلِيها ومَنْبِتَها * فإنّهمْ عَرَفُوها قَبْلَ أَهْلِيها (٨)

---

(١) أراغ يريغ: طلب . ويزجيها: يسوقها . (٢) ولم تقل عاملا منها، أى لم تعف أحدا من عمالك من مشاطرة ماله . وفشا، أى انتشر وكثر .

(٣) يشير الشاعر بهذه الأبيات الى ما يروى من أن عمر مر يوما بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها، فقيل له: عبد الله، فساقها الى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطعامها . (٤) الأينق: النياق .

(٥) ينميها: يزيدها . (٦) أغنت مستميحيها، أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال . (٧) المنشود: المطلوب . يريد أن المذهب الاشتراكى المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر . (٨) فان نكن نحن، أى العرب، أهل هذه الخطة وفيها نبتت، فان الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمـــر ونصر بن حجـاج)[1]

جَنَى الجَمـالُ على (نَصْرٍ) فغَرَّبَه * عَنِ المَدِينـةِ تَبْكِيـه ويَبْكِيهـا
وكَمْ رَمَتْ قَسِماتُ الحُسْنِ صاحِبَها * وأَنْعَبَتْ قَصَباتُ السَّبْقِ حاوِيها[2]
وزَهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها * لَمَـا ٱسْتَطالَتْ عليها كَفُّ جانِيها
كانت له لِمَّـةٌ فَيْنـانَةٌ عَجَبٌ * على جَبِينٍ خَلِيقٍ أنْ يُحَلِّيهـا[3]
وكانَ أيَّ مَشًى مالَتْ عَقائِلُها * شَـوْقًا إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها[4]
هَتَفْنَ تحتَ اللَّيالِي بآسِمِه شَـغَفًا * ولِلْحِسـانِ تَمَنٍّ فى لَيـالِيهـا
جَـزَرْتَ لِمَّتَـه لمَـا أُتِيتَ به * ففاقَ عاطِلُها فى ٱلحُسْنِ حالِيهـا[5]

---

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات الى ماروى من أن عمر — رضى الله عنه — مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقـــول :

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أو من سبيل الى نصر بن حجاج

فقالت لها امرأة معها : من نصر؟ قالت : رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد . فدعا بها عمر، فحققها بالدرة، ودعا بنصر فحلق لمتـه، فعاد أحسن مما كان ؛ فقـال : لاتساكنى فى بلدة يهواك النساء بها ، وأخرجه الى البصرة . وحاول نصر أن يعود إلى المدينـة ، فأبى ذلك عليـه عمر وقال : أما ولى سلطان فلا . وكان نصر من أجمل الناس .

(٢) قسمات الحسن : مجاليه . وقصبة السبق : ما ينصب فى ميدان السباق ، فمن سبق أخذها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٣) اللة (بالكسر) : الشعر المجاور شحمة الأذن ، والجمع لم . وفينانة : طويلة حسنة .

(٤) عقائلها ، أى عقائل المدينـة . وعقائل النساء : كرائمهن ، الواحدة عقيلة . ويسبيها : يأسرها .

(٥) عاطل اللة : المجرد منها . وحاليها : المزين بها .

فَصِحْتَ فيه تَحَوَّلْ عن مَدِينَتِهِمْ * فإنّها فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمادِيها
وفِتْنَةُ الحُسْنِ إنْ هَبَّتْ نَوافِحُها * كفِتْنَةِ الحَرْبِ إنْ هَبَّتْ سَوافِيها (١)

(عمر ورسول كسرى) (٢)

وَراعَ صاحِبَ (كِسْرَى) أنْ رَأَى عُمَرًا * بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلًا وهو راعِيها (٣)
وعَهْدُه بمُلُوكِ الفُرْسِ أنّ لها * سُورًا مِن الجُنْدِ والأحراسِ يَحْمِيها
رآه مُسْتَغْرِقًا فى نَوْمِه فَرأى * فيه الجَلالَةَ فى أَسْمَى مَعانِيها
فوقَ الثَّرَى تحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا * ببُرْدَةٍ كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها (٤)
فهانَ فِي عَيْنِه ما كان يُكْبِرُه * مِنَ الأكاسِرِ والدُّنيا بأيْدِيها
وقال قَوْلَةَ حَقٍّ أصْبَحَتْ مَثَلًا * وأصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيلِ يَرْوِيها:
أَمِنْتَ لمّا أَقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ * فنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيها

(١) نوافحها : أى روائحها الطيبة ، جمع نافحة . وسوافى الحرب ، أى عواصفها . والأصل فى السوافى : الريح تحمل الغبار . يقول : إن الحسن يفعل فى النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها .
ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ «لوافحها» باللام مكان «نوافحها» بالنون ، واللوافح : الرياح الحارة المحرقة ، جمع لافحة ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(٢) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى الى قصره ، فعلم أنه لا يسكن قصرا ، وانتهى به الأمر الى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد فى رعيته ؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش ، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة : عدلت ياعمر وأمنت فنمت .

(٣) عطلا (بالضم) ، أى متجردا من مظاهر الأبهة .

(٤) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل الرجل بثوبه : تلفف به وأداره على جسده .

(عُمَـــر والشـــورى)[1]

يارافِعًـا رايةَ الشُّـــورَى وحارِسَها * جَزاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عن مُحِبِّيها

لَمْ يُلْهِكَ الـنَّزْعُ عن تأبيـــدِ دَوْلَتِها * وللمَنِيَّـــــــةِ آلامٌ تُعـانِيهـا[2]

لَمْ أَنْسَ أَمْرَكَ للمِقْـــدادِ يَحْمِلُه * الى الجَمـاعةِ إِنْـــذارا وتَنْبِيهـا

إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلاثٍ رأْيُهـا شُعَبًا * بِجَرِّدِ السَّيْفَ واضرِبْ فى هَوادِيهـا[3]

فَاعجَبْ لقـوَّةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُهـا * طَعْـمُ المَنِيَّـــةِ مُرًّا عن مَرامِيهـا

دَرَى عَمِيـــدُ بَنِى الشُّورَى بِمَوْضِعِها * فعـاشَ ما عاشَ يَبْنِيهـا ويُعْلِيهـا

وما اسْـتَبَدَّ برأْيٍ فى حُكومَتِـــه * إِنَّ الحُكومَةَ تُغْـــرِى مُسْتَبِدِّيها

رأْىُ الجَمـاعةِ لا تَشْقَى البِـلادُ به * رَغْمَ الخِلافِ ورَأْىُ الفَرْدِ يُشْقِيهـا

---

(١) كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم ، وكان يقول : لا خير فى أمر أبرم من غير شورى . وهو أول من قرر قاعدة الشـورى فى انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عمن يوصى به بعـده ، فقال للمقداد بن الأسود : اذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسـعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، وقم على رءوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ؛ وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبـد الله فكونوا مع الذين فيهم عبـد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رضوا بما اجتمع عليه الناس . والى هذه القصة يشير الشاعر .

(٢) دولتها ، أى دولة الشورى .

(٣) بعد ثلاث ، أى بعد ثلاث ليال . والهوادى : الأعناق .

(مثالٌ من زُهـده)

يا مَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزِينَتِها * فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياكَ مُغْرِيها (١)

ماذا رأيتَ بباب الشامِ حين رَأَوْا * أَنْ يُلْبِسُوكَ مِن الأثْوابِ زاهِيها

ويُرْكِبُوكَ على البِرْذَوْنِ تَقْدُمُه * خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرائِيها (٢)

مَشَى فهَمْلَجَ مُخْتالًا براكِبِه * وفى البَراذِينِ ما تُزْهَى بِعالِيها (٣)

فَصِحْتَ : يا قومُ، كادَ الزُّهْوُ يَقْتُلُنى * وداخَلَتْنِىَ حالٌ لستُ أَدْرِيها

وكادَ يَصْبُو إلى دُنْياكُمُ (عُمَرٌ) * ويَرْتَضِى بَيْعَ باقِيهِ بفانِيها (٤)

رُدُّوا رِكابِى فلا أَبْغِى به بَدَلًا * رُدُّوا ثِيابِى فحَسْبِى اليومَ بالِيها

(مِثالٌ مِن رَحْمَتِه (٥))

ومَنْ رآهُ أمامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا * والنارُ تَأْخُذُ منه وهْوَ يُذْكِيها (٦)

وقد تَخَلَّلَ فى أَثْناءِ لِحْيَتِهِ * منها الدُّخانُ وَفُوهُ غابَ فى فِيها (٧)

---

(١) صدف : أعرض وصدّ . (٢) البرذون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر . ويشير بهذا البيت وما بعده الى أن عمر لما شخص الى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى ، فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه ، فهزه ، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما فركبه ؛ ثم سار حتى انتهى الى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا .

(٣) الهملجة : حسن السير فى تبختر . وأزهى (بالبناء المجهول) : اختال . وعاليها : راكبها .

(٤) يصبو : يميل . (٥) يشير بالأبيات الآتية الى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتحسس بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء ، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل اليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار و ينضج الطعام ؛ ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا . (٦) انبطح : نام على وجهه ممتدا على الأرض . وأذكى النار : أوقدها . (٧) فوه غاب فى فيها ، أى فه غاب فى فم النار وهو ينفخها .

رأى هُنـاكَ أميرَ المُؤمِنِينَ عَلَى * حالٍ تَرُوعُ — لَعَمْرُ اللهِ — رائِيهـا
يَسْتَقْبِلُ النـارَ خَوْفَ النـارِ فى غَدِهِ (١) * والعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سالَتْ مَآقِيهـا

(مثالٌ مِنْ تَقَشُّفِه وَوَرَعِه) (٢)

إنْ جاعَ فى شِـدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُـمُ (٣) * فى الجُـوعِ أو تَجْلِى عنهمْ غَواشِـيها
جُوعُ الخَلِيفةِ — والدُّنيا بقَبْضَتِه — * فى الزُّهْـدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحَانَ مُولِيهـا
فَمَنْ يُبارِى (أَبا حَفْصٍ) بسِـيرَتِه * أَوْ مَنْ يُحـاوِلُ (لِلفَارُوقِ) تَشْبِيهـا
يومَ اشْتَهَتْ زَوْجُه الحَلْوَى ومالَ لها: * مِنْ أَيْنَ لى ثَمَنُ الحَلْوَى فأَشْرِيهـا
لا تَمْتَطِى شَـهَواتِ النَّفْسِ جامِحَـةً (٤) * فكِسْرَةُ الخُـبْزِ عَنْ حَلْواكِ تَجْزِيهـا
وهَـلْ يَفِى بَيْتُ مالِ المُسْلِمِين بمـا * تُوحِى اليـكِ إذا طاوَعْتِ مُوحِيهـا
قالت: لكَ اللهُ إنِّى لَسْتُ أَرْزَؤُه (٥) * مَالًا لحـاجَةِ نَفْسٍ كنتُ أَبْغِيهـا
لَكِنْ أُجَنِّبُ شَـيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنا (٦) * فِى كُلِّ يَوْمٍ على حالٍ أُسَـوِّيهـا

(١) المآقى: جمع مأق ومؤق، وهو طرف العين مما يلى الأنف، وهو مجرى الدمع.

(٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية الى حادثتين من تقشف عمر: الأولى، ما يحكى عنه من أنه كان اذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم الى أن تنتهى المجاعة، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون. والثانية، ما حكى عنه من أن امرأته اشتهت الحلواء، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفى لصنعها، فلما نمى هذا الى عمر ردّ ما ادخرت الى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادخرت.

(٣) «أو تجلى» الخ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيها، أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدّة والقحط، الواحدة غاشية.

(٤) تجزيها، أى تغنى عنها.

(٥) لست أرزؤه مالا، أى لست أصيب من بيت المال شيئا.

(٦) وظيفتنا، أى ما يجرى علينا من بيت المال.

حتى إذا ما مَلَكْنا ما يُكافِئُها * شَرَيْتُها ثُمَّ إنّى لا أُثَنِّيها (١)

قال : اذهَبِي وٱعلَمِي إنْ كنتِ جاهِلَةً * أنَّ القَناعةَ تُغْنِي نَفْسَ كاسِيها (٢)

وأَقْبَلَتْ بَعْدَ خَمْسٍ وهى حامِلَةٌ * دُرَيْهِماتٍ لِتَقْضِى مِنْ تَشَهِّيها

فقال : نَبِّهْتِ مِنِّى غافِلًا فدَعِى * هٰذى الدَّراهِمَ إذْ لا حَقَّ لى فِيها

وَيْلِي عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بمُوفِيَةٍ * على الكَفافِ ويَنْهَى مُسْتَزِيدِيها (٣)

ما زادَ عَنْ قُوتِنا فالمُسْلِمُون به * أَوْلَى فقُومِي لِبَيْتِ المالِ رُدِّيها

كذاكَ أَخْلَاقُه كانتْ وما عُهِدَتْ * بعد النُّبُوَّةِ أَخْلَاقٌ تُحاكِيها

(مِثالٌ مِنْ هَيْبَتِه)

فى الجاهليَّةِ والإسلامِ هَيْبَتُه * تَثْنِي الخُطُوبَ فلا تَعْدُو عَوادِيها

فى طَيِّ شِدَّتِه أَسْرارُ مَرْحَمَةٍ * للعالَمِين ولكنْ ليسَ يُفْشِيها

وبَيْنَ جَنْبَيْه فى أَوْفَى صَرامَتِه * فُؤادُ والِدةٍ تَرْعَى ذَراريها (٤)

أَغْنَتْ عن الصَّارِمِ المَصْقُولِ دِرَّتُه * فكَمْ أَخافَتْ غَوِىَّ النَّفْسِ عاتِيها (٥)

كانت له كعَصَا (مُوسَى) لِصاحِبِها * لا يَنْزِلُ البُطْلُ مُجْتازاً بِوادِيها (٦)

---

(١) لا أثنيها ، أى لا أعود الى طلب ذلك مرة ثانية . (٢) كاسيها ، أى المتجمل بها .

(٣) بموفية على الكفاف ، أى بما يزيد على الحاجة من الرزق . (٤) أوفى صرامته ، أى فى أقصى شدّته .

(٥) الصارم المصقول : السيف المجلو . والدرّة : العصا يضرب بها ، ودرة عمر معروفة . والغوى : الضال .

(٦) البطل (بالضم) : الباطل . ويريد بالشطر الثانى أنه لا يضرب بها إلا فى حق .

أخافَ حتّى الدَّراري فى ملاعِبِها * ورَاعَ حتّى الغَـــوانِى فى مَلَاهِيها (١)

أَرَيْتَ تِلْكَ التى لِلّهِ قـــد نَذَرَتْ * أنْشُـــودَةً لِرَسُـــولِ الله تُهْدِيها (٢)

قالتْ: نَذَرْتُ لئن عادَ النَّـــبىُّ لَنـا * مِنْ غَزْوَةٍ لَعَـــلَى دُفِّى أُغَنِّيها

وَيَمَّمَتْ حَضْرَةَ الهادِى وقـد مَلَأَتْ * أَنْـــوارُ طَلْعَتِـــه أَرْجاءَ نادِيها

وَٱستأذَنَتْ ومَشَتْ بالدُّفِّ واندَفَعَتْ * تُشْـجِى بأَلْحانِهـا ما شاءَ مُشْـجِيها (٣)

(والمصطفى) (وأبو بَكْرٍ) بجانِبِـــهِ * لا يُنْـكِرانِ عليها مِنْ أَغانِيها

حتى اذا لاحَ مِنْ بُعْدٍ لها (عُمَـرٌ) * خارَتْ قُواهَا وكادَ الخَوْفُ يُرْدِيها (٤)

وخَبَّأَتْ دُفَّهَـا فى ثَوْبِهـا فَـــرَقًا * مِنْهُ ووَدَّتْ لو آنَ الأَرْضَ تَطْوِيها (٥)

قـد كانَ حِلْمُ رَسُـــولِ اللهِ يُؤْنِسُهـا * فجاءَ بَطْشُ (أبِى حَفْص) يُخَشِّيها (٦)

فقـالَ مَهْيِـــطُ وَحْىِ اللهِ مُبْتَسِمًا * وفى ابتِسامَتِـــهِ مَعْـــنًى يُواسِيها

قد فَرَّ شَـــيْطانُها ، لمّـا رَأَى عُمَـرًا * إنّ الشـياطينَ تَخْشَى بأسَ مُخْزِيها

---

(١) الغوانى : النساء غنين بحسنهن وجمالهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢) أريت ، أى أرأيت : ويشـير الشاعر بهذا البيت وما بعـده الى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم سافر سفرا ، فنـذرت جارية من قريش لئن رده الله تعـالى أن تضرب بالدف ، وتغنى بين يديه ؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتفى بنذرها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لاينكر ان عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسـقط فى يدها واضطربت فخرج عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : «لقد فر شيطانها» حين رأى عمر .

(٣) تشجى : تطرب . (٤) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٥) الفرق : الخوف . (٦) يخشيها : يخوفها .

(مثالٌ مِنْ رُجوعِه الى الحقّ)[1]

وفِتْيَـــةٍ وَلِعُـــوا بالرّاحِ فانتَبَـــذُوا * لهـــمْ مَكانًا وجَـــدُّوا فى تَعاطِيهـا[2]

ظَهَرْتَ حائِطُهُمْ لمّـا عَلِمْتَ بهـــمْ * والليـــلُ مُعْتَكِرُ الأَرْجاءِ ساجِيهـا[3]

حتّى تَبَيَّنْتَهُـمْ والخَمْـرُ قـد أَخَذَتْ * تَعْـــلُو ذُؤابَةَ ساقِيهـا وحاسِيهـا[4]

سَفَّهْتَ آراءَهُـــمْ فيهـا فما لَبِثُوا * أَنْ أَوْسَـعُوكَ على ما جِئْتَ تَسْفِيهـا[5]

ورُمْتَ تَفْقِيهَهُـــمْ فى دِينِهِـــمْ فإذا * بالشَّرْبِ قد بَرَعُوا (الفارُوقَ) تَفْقِيهـا[6]

قالوا : مَكانَكَ قـــد جِئْنا بواحِدَةٍ * وجِئْتَنـا بثَـــلاثٍ لا تُبـالِيهـا

فُتِ البُيُوتَ مِنَ الأَبْوابِ (يا عُمَرُ) * فقـــد يُزَنُّ مِنَ الحِيطانِ آتِيهـا[7]

واسـتأْذِنِ الناسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُـمُ * ولا تُـــلِمَّ بِـــدارٍ أو تُحَيِّيهـا[8]

---

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسور الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهى دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، وتجسسه عليهم ، وكل هذه نهى عنها الله ، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم . (٢) الراح : الخمر .

(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . والليل الساجى : الساكن الراكد الظلمة .

(٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة فى الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .

(٥) فيها ، أى فى الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .

(٧) نون « عمر » هنا لضرورة الوزن . وفى كتب النحو أن المنادى المبنى على الضم اذا اضطر الشاعر الى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فمن الأول :

* سلام الله يا مطر عليها *

ومن الثانى :

* يا عديا لقد وقتك الأواقى *

ويزن : يتهم . (٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

ولا تَجَسَّسْ فهٰذى الاىُ قد نَزَلَتْ * بالنَّهى عنـــه فلَمْ تَذْكُرْ نَواهِيها

فعُدْتَ عنهم وقد أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ * لمّـا رَأَيْتَ كِتَابَ اللهِ يُمْلِيهـا

وما أَنِفْتَ وإنْ كانوا على حَرَجٍ (١) * مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بالآياتِ عاصِيهـا

(عُمَـــرُ وشَجَـــرةُ الرِّضْوان) (٢)

وسَرْحَةٍ فى سَماءِ السَّرْحِ قد رَفَعَتْ (٣) * بَيْعَـةِ المُصْطَفَى مِنْ رأْسِها تِيها

أَزَلْتَها حِينَ غالَوْا فى الطَّوافِ بهـا (٤) * وكانَ تَطْوَافُهُـمْ للدِّينِ تَشْـوِيها

(الخـاتمـــة)

هٰـذى مَناقِبُه فى عَهْـدِ دَوْلَتِـهِ * للشّاهِـدِينَ وللأَعْقابِ أَحْكِيهـا

فى كُلِّ واحِـــدةٍ منهنّ نابِـــلَةٌ (٥) * مِن الطبائِـع تَغْذُو نَفْسَ واعِيها

لَعَـلَّ فى أُمّـةِ الإسْـلامِ نابِتَـةً (٦) * تَجْـلُو لحاضِرِهـا مِرْآةَ ماضِيها

حتّى تَرَى بَعْضَ ما شادَتْ أوائِلُها * مِن الصُّرُوحِ وما عانَاهُ بانِيها

وحَسْبُها أَنْ تَرَى ما كانَ مِنْ (عُمَرٍ) (٧) * حتّى يُنَبِّـــهَ منهـا عَيْنَ غافِيهـا

---

(١) الحرج : الإثم . وحجه يحجه : غلبه بالحجة . (٢) شجرة الرضوان : هى الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معانى الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ؛ والى هـذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية . (٣) السرحة : الشجرة الطويلة ؛ أو هى من الشجر مالا شوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت تيها وافتخارا على مثيلاتها من أعالى الأشجار بهذه البيعة . (٤) غالوا : بالغوا وأكثروا . (٥) نابلة ، أى عبقرية شريفة من عجايب النبل . (٦) النابتة : الناشئون . (٧) الغافى : النائم .